فكاهات

شرلوك هولمز[1]

— ٢٢ —

ابهام المهندس

الحادثة التي ارويها هذه المرة ليست من الحوادث التي تتضمن ما اعتاد القارئ ان يراه لشرلوك من المهارة في تطبيق الحوادث والبراهين ولكنها من الحوادث الغريبة في نفسها . وهي وان كانت قد ذكرت مراراً في الجرائد فانها لم تذكر بالتفاصيل التي عرفناها نحن فكانت كأنها لم تذكر ولم تظهر في نشرها كيفية الاطلاع على اسرارها بحيث كان كل اكتشاف يقدمنا خطوة جديدة الى الحقيقة

وقد جرت وقائع هذه الرواية في صيف سنة ١٨٨٩ بعد زواجي بمدة قصيرة وكنت قد عدت الى ممارسة الطب وترك شرلوك في منزلهِ بشارع باكر . فلما كان صباح احد الايام ايقظتني الخادمة قبل الساعة السابعة واخبرتني ان رجلاً ينتظرني في غرفة المعالجة. ففي اقل من خمس دقائق ارتديت ثيابي واسرعت الى الغرفة المذكورة فوجدت رجلاً جالساً بجانب المائدة عليهِ ثوب من الجوخ الرمادي اللون وكانت احدى يديهِ ملفوفة بمنديل تظهر عليهِ آثار دم . وكان الرجل في نحو الخامسة والعشرين من عمرهِ تلوح على وجههِ علامات الرجولية غير انهُ كان اصفر اللون مما دلني على ان بهِ الماً شديداً وانهُ يستعمل كل قوة ارادتهِ ليخفي ذلك الألم . ولما صرت بجانبهِ قال اعذرني يا سيدي الدكتور اذا كنت قد ازعجتك باكراً فانني قد اصبت بحادث اليم في الليل الماضي واتيت في قطار الصباح ولما سألت عن طبيب

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

يمكنني استشارتهُ دلني بعض الذين سألتهم عليك فجئتك توًّا وقد بعثت اليك ببطاقتي مع الخادمة ولكنها قد تركتها هنا على ما ارى . فنظرت الى حيث اشار فوجدت البطاقة وعلمت منها ان اسمهُ المستر فكتور هاذرلي مهندس بشارع فكتوريا. فقلت لهُ ليس على العليل ان يعتذر عن ازعاجهِ الطبيب بل عليَّ ان اعتذر اذا كنت قد تأخرت عن الحضور ويظهر انك قد قضيت ليلتك في القطار فلا ريب ان مثل هذا السفر قد كان مزعجاً ومملاً . قال نعم ولا سيما وانهُ قد نزف مني في هـذا الليل دمٌ كثير . فاخذت كأساً من الماء وضعت لهُ فيهِ شيئاً من الكنياك وناولتهُ اياهُ فشربهُ وللحال اخذ لونهُ الطبيعي يعود اليه فقال انني شاعر بانني صرت الآن اصلح وصار يمكنك يا سيدي ان تعالج ابهامي او بالحري المحل الذي كانت فيهِ ابهامي . ولما قال هذا حل رباط يدهِ فرأيت اصابعهُ الاربع سليمة والى جانب السبابة في موضع الابهام بقعة حمرآء دامية مما يدل على ان الابهام قد قطعت من اصلها. فلم اتمالك ان اقشعرَّ جسمي من ذلك المنظر ثم أخذت في فحص الجرح فقلت انهُ حصل بآلةٍ ثقيلة حادّة قال نعم بآلةٍ حادّة ارادوا بهـا قتلي . قلت انك تخيفني بهذا الكلام فهل لك ان تخبرني كيف حصل ذلك . وكانت يداي قد ابتدأتا بالعمل فغسلت الدم عن الجرح ووضعت عليهِ الادوية اللازمة ولففتهُ بالقطن المعقَّم والعصائب . وكان في اثنآء العمل قد استلقى على ظهرهِ فلم يبدِ اقل صوت او علامة توجع سوى انهُ كان من حين الى آخر يعض شفتهُ حتى يكاد يدميها . ولما فرغت قال اشكرك يا سيدي فان الكنياك الذي شربتهُ وهذا الرباط الآن قد جعلاني انساناً جديدا . اما قصتي فمن اغرب القصص ولا بد لي بعد تلاوتها عليك من سردها ثانيةً امام رجال الشحنة على انهُ لولا هذا الجرح لما كان لي امل انهم يصدقون كلامي لانهُ ليس لي اقل برهان على ما حصل بل لو صدقوا كلامي لما وجدوا فيهِ على ما اظن ما يدعوهم الى البحث عن الجاني لمعاقبتهِ . فقلت اذا كان امرك في هذه المنزلة من الخفآء فانا انصحك ان تستشير صديقي شرلوك هولمز قبل ان تسلم الامر الى رجال الشحنة . قال قد سمعت كثيراً عن هذا الرجل الداهية

واودّ كثيراً ان اطلعهُ على امري ولو لم يكن بدٌّ من تسليمهِ الى رجال الشحنة ايضاً فهل لك ان تكتب لي توصية الى صديقك المذكور. قلت انني افعل احسن من ذلك فاني ارافقك اليهِ وسنصل قبل ان يكون قد تناول طعام الصباح فنشاركهُ فيهِ وتخبرنا بقصتك . فشكرني الفتى على ذلك وخرجت فامرت الخادم فاحضر لنا عربة ركبتها مع المهندس وتوجهنا الى شارع باكر . ولما دخلنا منزل شرلوك استقبلنا استقبالاً حسناً ثم قادنا الى غرفة المائدة فجلسنا واكلنا مريئاً حتى اذا انتهينا اجلس شرلوك المهندس على مقعدٍ ووضع الى جانبهِ زجاجة من الكنياك وقال لهُ يظهر يا مستر هاذرلي ان امرك ليس باليسير فخذ راحتك التامة اولاً ثم تص علينا الامر بالتفصيل واذا شعرت بتعب فلا تجهد نفسك . فقال اشكرك يا سيدي وقد رأيت في معاملة الطبيب وحسن ضيافتك ما نفى عني كل ألم ولكي لا اضيع كثيراً من وقتكما ابدأ بحديثي للحال

أنا رجلٌ لا اهل لي ولست بمتزوج اسكن بيتاً في لندن وصناعتي الهندسة وقد مارستها مدة سبع سنوات في محل فتر ومانيسون المشهورين في غرينويش . ومن مدة سنتين اتممت مدة خدمتي وكنت قد استوليت على مبلغ من المال انتهى اليّ بالارث عن والدي فآثرت ان استقلّ فاستأجرت محلاً في شارع فكتوريا لهذه الغاية . غير انني في مدة هاتين السنتين لم احصل الا على عملٍ زهيد في الغاية لم يكن دخلي منهُ زيادة على سبع وعشرين ليرة ومع ذلك كنت لا ازال اواظب على البقآء في محلي من الصباح الى المسآء حتى بلغ مني اليأس . وحدث امس انهُ بينما كنت عازماً على ان اترك محلي وانصرف الى عملٍ آخر اذا بخادمي قد دخل وبيدهِ بطاقة عليها اسم الكولونيل ليساندر ستارك واخبرني انهُ يودّ مواجهتي لاجل شغل . وقبل ان اجيبهُ اذا بالكولونيل قد دخل وهو رجل فوق الربعة معروق العظام لا اذكر انني رأيت قط شخصاً في رقة جسمهِ فكان لا يظهر من وجههِ سوى انفهِ الاقنى وذقنهِ اما جلد خدَّيهِ فكان مشدوداً على عظمهِ شدًّا وليس في كل جسمهِ شيء من اللحم . وظهر لي ان ذلك من خلقتهِ وليس عن سبب مرض فان عينيهِ كانتا حادتي النظر وخطوهُ ثابتاً

وقدماهُ راسختين . فحياني وقال يا مستر هاذرلي قد أُخبرت عنك انك ماهر في صناعتك وانك فوق ذلك رجل جدّ يعتمد عليهِ في قضآء الحاجات الخاصة وحفظ الاسرار . فشكرتهُ على هذا الاطرآء وقلت هل لي ان اعلم اسم الذي زيني بهذا الوصف لديك . قال سأطلعك على اسمهِ فيما بعد لكن ازيدك انهُ ذكر لي ايضاً انك عزَب وليس لك ههنا اهل وانك تقيم وحدك في لندن واذا ظهر لك ان هذا لاعلاقة لهُ بالشغل الذي اتيت لاستشيرك فيهِ فستعلم غرضي منهُ متى اطلعتك على حقيقة ذلك الشغل وهو يستدعي الكتمان التام ولا شك ان السر العظيم يسهل كتمانهُ عند رجل فرد نظيرك اكثر من رجل لهُ اسرة تحيط بهِ وتعرف احوالهُ فهل تعدني انك تكتم الامر . قلت اني اعدك بذلك واؤكد لك انني لن ابوح بشيءٍ مما ستطلعني عليهِ ولا اشير اليهِ بكلام ولا كتابة . فقال حسنٌ جدًّا وهذا ما اطلبهُ . ثم قال هل تكفيك خمسون ليرة اجرة عمل ليلة واحدة . قلت نعم . قال اني احتاج الى مساعدتك في فحص مكبس قد توقف عن العمل وكل ما نطلبهُ منك ان تفحصهُ لنا وتعرّفنا السبب الذي يمنع حركتهُ ونحن نصلحهُ . قلت يظهر ان العمل سهل والاجرة كثيرة . قال نعم ويجب ان تحضر في آخر قطار في هذه الليلة الى ايفورد وهي بلدة صغيرة على حدود اوكسفوردشير وعلى بعد سبعة اميال من ريدن وهناك قطار يقوم من بادنجتون في الساعة الحادية عشرة والربع مساءً وساقابلك على المحطة . فقلت اذاً لا نبلغ المنزل قبل نصف الليل وبما انهُ لا يوجد قطار يرجع في الليلة نفسها فساضطر ان ابقى هناك ولكن لمَ هذا الموعد الغريب أولا يمكنكم تعيين وقت آخر . فقال قد رأينا الافضل ان تأتي في الوقت المذكور وقد قبلنا ان ندفع لك تلك الاجرة الكبيرة في مقابلة ما تتحملهُ من المشقة في هذا الليل ومع ذلك فاذا لم تشأ ان تقوم بهذا العمل فيمكنك ان تستقيل من الآن . ففكرت قليلاً ثم خطر لي ان عملاً سهلاً كهذا باجرة خمسين ليرة لم احصل عليها في كل مدة شغلي لا يسهل عليَّ فوتهُ فقلت لهُ كلا يا سيدي انني لا استقيل بل اكون على ما تريدون ولكن هل لك ان تخبرني بما يطلب مني عملهُ بعبارة اوضح . فقال نعم وانا لا الومك في

ذلك لان الحاحي عليك بطلب الكتمان قد جعل في نفسك شيئاً من الاستغراب فانا لا احب ان اكلفك امراً لا تكون على بينة منهُ . وبما انك قد اقسمت على ان تكتم الامر فاعلم ان المعدن المعروف بتراب القصّارين هو من اثمن ما اخرجت الارض ولا يوجد في كل انكلترا الا في موضعين فقط . وقد اتفق انني من عهد قريب ابتعت قطعة ارض صغيرة على بعد عشرة اميال من ريدن ولحسن حظي وجدت ان في جانبٍ منها شيئاً من هذا المعدن غير ان مقدارهُ زهيد وهو يتصل بمنجمين اكبر منهُ يميناً وشمالاً لكن المنجمين المذكورين واقعان في ملك جيراني وهم يجهلون ان في ارضهم ركازاً اثمن من الذهب واذ ذاك رأيت ان اشتري تلك الارض منهم قبل ان يكتشفوا قيمتها غير ان رأس مالي كان اقلّ من ان استطيع المشترى فاطلعت بعض اصدقآئي على سري واتفقنا على ان نعمل سرًّا في ارضي حتى اذا صار لدينا المال الكافي اشترينا الحقلين المجاورين وادركنا غايتنا . وقد شرعنا في العمل من مدة واستحضرنا لهُ مكبساً ولكن المكبس بعد ان استعملناهُ مدة توقف كما اخبرتك ولم نعلم كيف نصلحهُ . ونحن نحافظ على هذا السر محافظتنا على حياتنا لان اقل شبهةٍ تفضي الى ظهورهِ تقضي على آمالنا فلذلك قررنا حضورك على الطريقة التي ذكرتها وجعلتك تقسم لي أن لا تبوح بالامر وأن لا تخبر أحداً بذهابك الليلة الى ايفورد . فهل كفاك هذا الايضاح . قلت نعم ولكنني لم اعلم منفعة المكبس . فقال اننا بعد ان نحفر الارض ونأخذ التراب الذي فيهِ المعدن نكبسهُ ليصير قطعاً مربعة ويسهل علينا نقلهُ بدون ان يشك فيهِ احد وها انا قد اطلعتك على كل سرنا يا مستر هاذرلي وفي ذلك ما يدلك على ثقتنا بك . ولما قال هذا وقف واخذ قبعتهُ منصرفاً وقال اذاً سانتظرك في ايفورد مع قطار الساعة الحادية عشرة والربع ثم خرج مسرعاً . ولما بقيت وحدي جعلت اردد ما دار بيننا فاستغربت جدًّا هذه المهمة ولا انكر انني من جهةٍ كنت مسروراً لحصولي على تلك الاجرة الوافية ولكنني من الجهة الاخرى رأيت ان هيئة الرجل وكلامهُ وتصرفهُ مما يدعو الى الخوف والحذر ولم اقتنع بان المعدن الذي اكتشفهُ هو السبب

الوحيد لكل هذا الاحتراس حتى اذهب ليلاً ولا اخبر احداً بذهابي . ولكنني طرحت كل مخاوفي جانباً ولما كانت الساعة المعينة ركبت القطار وقد اطعت الرجل في كل شيء حتى في عدم ترك خبر في محلي عن ذهابي . ولما بلغت ريدن غيرت القطار الى ايفورد ولما بلغتها كنت المسافر الوحيد الى تلك البلدة الصغيرة ولم ارَ على محطتها احداً فنزلت وما سرت قليلاً حتى رأيت الرجل المعهود قد قدم اليَّ من ناحية ليس فيها نور ولم يكلمني بل اخذ بيدي وقادني الى عربة فدخلناها وانزل ستائرها ثم نقر على النافذة التي وراء الحوذي فسارت بنا المركبة على اشد عدو الجواد . فقطعنا مسافة ساعةٍ على الاقل وكان الكولونيل قد اخبرني ان المسافة ليست اكثر من سبعة اميالٍ ولكنني رأيت من سرعة السير وطول المسافة اننا اجتزنا اكثر من اثني عشر ميلاً . وكانت الطريق وعرة والمركبة تهتز بنا فوق الحجارة وقد اجتهدت ان ارى الطريق من النافذة ولكنها كانت من الزجاج المكلَّس فلم ارَ شيئاً سوى مرور نور من وقت الى آخر . ثم شعرت اننا انتقلنا الى طريق احسن فسارت المركبة بنا بسهولة وبعد قليل وقفت فترجل الكولونيل امامي وتبعتهُ فلم اطأ الارض حتى جذبني بعنفٍ الى داخل باب أُقفل وراءنا فلم يترك لي اقل وقت لارى البيت من الخارج او لاعلم الجهة التي نحن فيها وتبع ذلك صوت العربة وقد عادت من حيث اتت

وكان داخل البيت ظلمة حالكة فجعل الكولونيل يسير امامي متلمساً ثم فُتح امامنا باب فجأةً وظهر منهُ وميض نور كان يزداد شيئاً فشيئاً ثم بانت منهُ امرأة بيدها مصباحٌ قد رفعتهُ فوق رأسها وظهر لي انها جميلة الصورة ولباسها ثمين فتكلمت مع الكولونيل بلغةٍ اجنبية لم افهمها كانها تسألهُ عن شيءٍ فاجابها بصوت اجش جعلها تقفز الى الوراء مذعورة حتى كاد يقع المصباح من يدها . فاقترب منها الكولونيل وهمس في أذنها شيئاً ثم دفعها الى داخل الغرفة التي خرجت منها وعاد اليَّ بالمصباح ففتح باباً آخر وأدخلني غرفةً صغيرة بسيطة الاثاث في وسطها مائدة مستديرة عليها بعض الكتب الالمانية والى جانب الباب آلة موسيقية وضع عليها المصباح وقال ارجو ان تنتظرني هنا قليلاً وسأعود سريعاً . ولما قال ذلك تركني واختفى في

الظلام. فعمدت الى الكتب لاسلي نفسي بها ومع جهلي تلك اللغة علمت ان بعضها من الكتب العلمية و بعضها دواوين شعرية . ثم اقتربت من النافذة على امل ان ارى الخارج والبقعة التي انا فيها فوجدت ان غَلَق النافذة من خشب السنديان الغليظ وقد سُمِّر من الخارج وكان المنزل في سكوت تام ما عدا ساعة كبيرة تسمع دقاتها في الرواق الخارجي . ولما جلست منتظراً شعرت بقلقٍ قد استولى عليَّ وقلت من عسى ان يكون هؤلآء الالمان وما هو عملهم وما سبب اقامتهم في هذا المكان البعيد بل اين موقع المكان لانني علمت انني على بعد نحو عشرة اميال من ايفورد ولكن الى الشمال ام الجنوب ام الشرق ام الغرب لا اعلم غير ان السكون التام في ذلك الليل جعلني أتحقق اننا في برية لا في مدينة. ولما رأيت ان أفكاري ستصل بي الى ما يحول نظري عن كسب أجرتي ابعدتها عني وجعلت اسير في الغرفة ذهاباً وايابًا وأترنم بنغمةٍ مألوفة بصوت ضعيف . و بعد مدة قصيرة فتح باب غرفتي بدون سابق اشارة ورأيت المرأة التي رأيتها سابقاً قد وقفت امامي والظلام ورآءها والمصباح الاصفر يلقي نورهُ الضئيل على وجهها الجميل ورأيت لاول وهلة انهـا خائفة جدًّا فأثر فيَّ ذلك ولكنها وضعت سبابتها على شفتيها كانها تأمرني بالسكوت وجعلت تكلمني همساً بلغة انكليزية محرَّفة وهي تنظر الى الورآء كانها تخاف ان يتبعها احد فقالت يجب ان تذهب فلا خير لك في البقآء هنـا . فقلت ولكنني لم اتم العمل الذي أتيت لاجلهِ فلذلك لا يمكنني ان اذهب قبل أن أرى الآلة . قالت بل انصرف بغير امهال ويمكنك ان تخرج من هذا الباب فلا يستوقفك احد . ولما رأتني أتبسم غير مصدقٍ كلامها ظهرت عليها علامات الاهتمام فتقدمت اليَّ وضمت يديها على صدرها وقالت استحلفك باسم السمآء ان تنجو بنفسك قبل ان يفوت الوقت . وكان من طبعي التصلب والعناد ولا سيما اذا رأيت امامي عراقيل تقف دون بلوغ غايتي وتمثلت امامي الخمسين ليرة وذلك السفر الشاق والليل العصيب فلم اشأ ان اترك كل ذلك ولا أحصل على ثمرة لمجرد كلمة امرأة ربما كانت مصابة في عقلها فنظرت اليها هازًّا رأسي غير مكترث مع انها كانت قد اوجدت فيَّ شيئاً

من الخوف . ولما رأت عدم اهتمامي حاولت ان تكرر الالحاح واذا بباب قد أُقفل بشدة فوق رأسنا وسمعنا وقع اقدام ثقيلة على السلم الحجري فاصغت المرأة لحظةً ثم رفعت يديها علامة الاستغاثة واليأس واختفت كما ظهرت فجأةً و بدون صوت . ولم تكد تبتعد حتى دخل غرفتي الكولونيل ليساندر ومعهُ رجل قصير القامة غليظ الجسم لهُ لحية اثيثة عرَّفني بهِ الكولونيل بقولهِ انهُ المستر فرغوسن وكيلهُ وكاتب اسرارهِ . ثم قال هلمَّ بنا لاريك الآلة فسرنا جميعاً الى الطبقة العليا من المنزل وكان الكولونيل في مقدمتنا و بيدهِ المصباح . ورأيت ان المنزل قديم البناء فيهِ كثير من الممرّات الضيقة والسلالم المستديرة وكانت اعتابهُ قد ذابت من كثرة المرور عليها ولم أرَ شيئاً من البُسط او المفروشات بل ان الدهان الذي على الجدران قد سقط من اماكن عديدة وظهرت آثار الرطوبة وقد كست كثيراً من الجدران بالنبات الاخضر وانبعث منهُ رائحة قتلة . اما أنا فاجتهدت ان لا يظهر عليَّ شيء من الخوف او الحذر مع ان الحاح المرأة كان لا يزال امام مخيلتي فسرت معهما كأني لا ابالي ومع ذلك فكنت اراقبهما بدقة فوجدت ان فرغوسن رجل سكوت مطيع وكفاني انهُ من ابناء وطني . و بعد قليل وقف الكولونيل ليساندر امام باب صغير فتحهُ فاوصلنا الى غرفة مربعة صغيرة لا تسعنا ثلاثتنا معاً فبقي فرغوسن خارجاً ودخل الكولونيل واشار اليَّ فتبعتهُ . ولما صرنا داخلاً قال نحن الآن ضمن المكبس لان هذه الغرفة هي الآلة التي اخبرتك عنها ولو شاء احد ان يحرك الدولاب الآن لقضي علينا معاً لان سقف هذه الغرفة هو آخر الكابس الذي يهبط بقوة عدة قناطير الى ان يبلغ الارض التي هي صفيحة معدنية قوية . ويوجد في الخارج أنابيب عديدة للمياه التي تعمل الآلة بقوتها ومع ان الآلة لا تزال تعمل كما نريد فانها قد فقدت شيئاً من سهولتها ومن قوتها فلذلك نرجو ان تفحصها بدقة وتخبرنا عن موضع الخلل لنصلحهُ

فاخذت المصباح منهُ وجعلت افحص الآلة فرأيت انها في الحقيقة آلة مخيفة ذات قوّة فائقة ولما خرجت وحرَّكت اليد التي تديرها سمعت صوتاً اشبه بالصفير فعلمت للحال انهُ يوجد ثقب تهرب منهُ المياه في بعض الانابيب فتوجهت الى فحص

تلك الجهة فوجدت ان قطعة من المطاط قد يبست وضمرت حتى لم تعد تقف دون المياه فأريتهم اياها . وكان الكولونيل ووكيلهُ يتبعان تفاصيلي بدقة ولما عرفا الخلل طلبا اليَّ ان افهمهما كيف يمكن تلافيهِ فشرحت لهما كل ذلك . ولما انتهيت عدت الى داخل الآلة وجعلت انتقدها فعلمت لاول وهلة ان ما ذكرهُ لي الكولونيل من امر الركاز المعدني ليس لهُ اقل صحة لانهُ لا يعقل ان تستعمل مثل تلك القوة العظيمة لمجرد كبس التراب. ورأيت ان جدران تلك الغرفة كانت من الخشب اما ارضها فمن قطعة حديدية واحدة غليظة ورأيت عليها شبه قشرة معدنية فانحنيت وجعلت اكشطها لاعلم ما هي واذا بصوت يتكلم بالالمانية بحدة ورأيت امامي وجه الكولونيل المكفهرّ فقال لي بغضب ماذا تفعل يا هذا . وكنت قد سآءني ما لفَّقهُ عليَّ من حديث المعدن فقلت لهُ انني كنت اعجب بهذا التراب الذي تكبسهُ في آلتك واظن انك لو اطلعتني على حقيقة قصدك منها ربما كنت افدتك كيف تستعملها بطريقة اسهل واحسن . ولم اكد اتم كلامي حتى شعرت بتهوري لانهُ نظر اليَّ بوجهٍ مخيف وعينين تبرق فيهما نار الغضب وقال حسنٌ وستعرف كل ما يتعلق بهذه الآلة . ثم رجع خطوة الى الورآء فصار خارج تلك الغرفة الصغيرة ثم اغلق بابها بعنفٍ واقفلهُ بالمفتاح . اما انا فاسرعت الى الباب وجعلت اعالجهُ بمنتهى قوتي فلم يتحرك فاخذت اصيح وادعو الكولونيل ليفتح لي ويخرجني فلم يكن من مجيب . وبعد قليل سمعت في ذلك السكون صوتاً اجمد الدم في عروقي فاني سمعت حركة الآلة وصفير المياه في الانابيب فعلمت انهُ قد اعمل المكبس ورأيت على نور المصباح الذي كان لا يزال بجانبي ان السقف الاسود ينخفض شيئاً فشيئاً فتحققت من معرفتي قوتهُ الغريبة انهُ في اقل من دقيقة سيسحقني ويصيرني كتلة معجونة من لحم وعظام. ولما تحققت هول ذلك رميت بنفسي الى الباب وجعلت استغيث واستحلف الكولونيل ان يشفق عليَّ وهيهات من يسمع . ثم رأيت الحديد قد صار على علو قدم واحدة فوق رأسي وبعد لحظة شعرت انهُ قد بلغ رأسي ولم اعد أستطيع الانتصاب فكدت افقد رشدي . وقد ذكرت ان الجدران كانت من الخشب فبينما انا في الحالة التي

ذكرتها اذا بنور ضعيف قد ظهر بين عارضتين في الجدار ثم رأيت عارضة من تلك الاخشاب قد نُزعت فلم اكد اصدق نظري أنهُ يوجد ذلك المنفذ لانجو بهِ من الموت . وفي اسرع من لمح البصر قذفت بنفسي من تلك الفرجة الضيقة فصرت في خارج المكان وأنا غير مصدق بالنجاة وفي تلك اللحظة نفسها رأيت العارضة الخشبية قد عادت الى مكانها ثم سمعت تكسير المصباح الذي بقي في المكبس وتبعهُ صوت التصاق السقف بالارض فعلمت شدة الخطر وهول الموت الذي كان يترقبني. ولما عدت الى نفسي شعرت بيد تضغط على معصمي ووجدت نفسي ملقى على ارض الممرّ وبجانبي تلك المرأة اللطيفة التي لم أسمع نصحها و بيدها شمعة موقدة فقالت تعالَ تعالَ اسرع فانهم سيكونون هنا بعد دقيقة واحدة و يعلمون انك نجوت فلا تضع الوقت الثمين هذه المرة ايضاً . فلم ازدرِ بالحاحها هذه المرة بل نهضت وسرت معها مسرعاً في درج ملتف الى ان بلغنا ممرًّا واسعاً فسمعنا وقع اقدام بسرعة وصراخ صوتين يجاوب احدهما الآخر وكان الواحد في الطبقة العليا فوقنا والآخر تحتنا . اما المرأة فوقفت لحظة كانهـا لا تدري ماذا تفعل ثم فتحت باباً موصلاً الى غرفة نوم ولها نافذة قد دخل منها نور القمر فاشارت الى النافذة وقالت هذا أملك الوحيد والنافذة مرتفعة عن الارض ولكنهُ لا يصعب عليك الوثوب منها . ولم تتم كلامها حتى ظهر لنا نور في طرف الممر البعيد ورأيت الكولونيل قادماً بسرعة وقد اخذ مصباحاً باليد الواحدة و بالاخرى فأساً حادّة . وكان في ذلك المشهد ما جعلني اصمم للحال فوثبت الى النافذة ورأيت الحديقة تحتها ينيرها القمر الصافي وعلمت انها لا تبعد اكثر من ثلاثين قدماً عن النافذة . وللحال خرجت من النافذة وديت نفسي الى الخارج و بقيت ممسكاً بطرف النافذة لارى ما سيجري بين الرجل ومنقذتي لانني مع عظم الخطر الذي كنت فيهِ صممت ان اعود الى مساعدتها وحمايتها اذا تعرض لها ذلك اللعين بسوء . اما الكولونيل فانهُ تقدم حتى دخل الغرفة ولم يلتفت اليها بل توجه الى النافذة غير انهـا وثبت اليهِ والقت بذراعيها حول جسمهِ الدقيق كانها تمنعهُ وصاحت بهِ بالانكليزية « فريتز.

فريتز . اذكر وعدك بعد تلك المرة الاخيرة فانك وعدت ان لا تفعل ذلك ثانيةً . انهُ يصمت ويكتم الامر» . أما ذلك الوحش فكان يجاهد في التخلص منها وهو يقول انتِ مجنونة يا ألسي بل ستكونين سبب خرابنا فاتركيني . انهُ قد رأى اكثر مما يجب فينبغي ان يموت . ثم دفعها عنهُ فعلمت أنهُ سيصل اليَّ وان لا خطر على المرأة فتدليت بتمهلٍ و بقيت اصابعي على طرف النافذة ونظرت لارى الارض التي سأصل اليها وفي تلك الفترة كان قد وصل الى النافذة والفأس بيدهِ فضربني ضربةً كادت تكون القاضية لو لم تكن تلك السيدة لا تزال متعلقة بهِ لتمنعهُ فوقعت ضربتهُ على يدي وسقطت الى الحديقة . وارتج جسمي من السقطة ولكنهُ لم يصبني ضرر فنهضت وتوغلت بين الادغال بمنتهى السرعة لانني علمت ان الخطر لا يزال محدقاً بي . وكنت اشعر في اثناء سيري بدوارٍ يستولي عليَّ ثم نظرت الى يدي وكانت تلتهب كالنار فرأيت ان ابهامي قد قطعت والدم يتدفق من الجرح فحاولت أن أربط الجرح بمنديلي ولكن غشاوة الدوار سقطت على عينيَّ فوقعت بين نبات الورد المشتبك فاقد الرشد . ولا اعلم كم بقيت على تلك الحالة وهي ولا بد كانت طويلة لانني لما أفقت منها كان القمر قد غاب ولاح الفجر وكانت ثيابي مبللة بالندى وكمُّ يدي مغمساً بالدم فوثبت للحال وأنا خائف ان يكون مطارديَّ بالقرب مني . ولكن من الغريب اني لما نظرت حولي لم أرَ البيت ولا الحديقة بل وجدتني مطروحاً في زاوية من الطريق على الشارع العمومي ورأيت امامي بناية مستطيلة اقتربت منها فوجدتها المحطة التي أوصلني اليها القطار في الليلة السابقة . ولو لم يكن هذا الجرح في يدي لما صدّقت ما حصل لي ولاعتقدت انهُ من أضغاث الاحلام . وسرت كالثمل الى أن بلغت المحطة فسألت عن موعد القطار فقيل لي انهُ في أقل من ساعة يمر القطار المتوجه الى ريدن . ورأيت ناظر المحطة فسألتهُ هل يعرف رجلاً يدعى الكولونيل ليساندر ستارك وهل انتبه للعربة التي انتظرتني في الليل الماضي فقال انهُ لا يعرف رجلاً بهذا الاسم ولم يرَ العربة . فسألتهُ هل يوجد دار شحنة بالقرب فقال ان أقرب مركز للشحنة على بعد ثلاثة أميال . فرأيت من ضعفي وتعبي ما منعني عن

الذهاب وصممت أن أجيء الى لندن فركبت القطار حال وصوله و بلغت لندن الساعة السادسة والنصف فتوجهت توًّا الى الدكتور لينظر ما يلزم للجرح وهو من فضله قد احضرني اليك يا مستر شرلوك وهذه قصتي أضعها بين يديك وأعدك انني أفعل كل ما تشير بهِ عليَّ

و بعد انتهآء المهندس من قصتهِ بقينا حيناً متعجبين من تلك الحادثة ثم نهض شرلوك الى خزانتهِ واخرج بعض الاوراق فاخذ واحدة منها وقال اقرأ هذا الاعلان يا صاح لعل فيهِ ما يفيدك وقد نشرتهُ الجرائد منذ سنة واذا بهِ يقول «فُقد في ٩ من الجاري المستر جرميا هايلن وهو شابٌّ عمرهُ ٢٦ سنة صناعتهُ الهندسة ترك منزلهُ الساعة ١٠ ليلاً ولم يعد يظهر لهُ اثر وصفاتهُ الخ» . ثم قال شرلوك يظهر ان هذا المهندس فقد حين احتاج الكولونيل الى من يصلح لهُ الآلة في المرة الاولى ويُستدلّ على ذلك من قول المرأة لهُ انك وعدت في المرة السابقة ان لا تعيد هذا العمل . وعلى كلٍ فيظهر لي ان الكولونيل من رجال العزم والجسارة فهو يحتاج الى من يصلح لهُ الآلة ولكنهُ لا يريد ان يبقي على حياة الرجل الذي يخدمهُ لانهُ لا يضمن الصمت عن سرّهِ الا بالموت . فاذا شئت يا مستر هاذرلي ولم يكن عندك مانع نذهب الآن الى دار الشحنة ومنها الى ايفورد

و بعد نحو ثلاث ساعات ركبنا القطار من ريدن الى ايفورد وكنا نحن الثلاثة ومعنا مفتش الشحنة واسمهُ براد ستريت . وكان المفتش قد اخذ بيدهِ خريطة ايفورد وضواحيها الى محيط عشرة اميال . فنظر الى المهندس وقال لهُ تقول انكم ابتعدتم نحو عشرة اميال عن المحطة بالعربة . قال اظن ذلك لانها سارت بنا بسرعةٍ اكثر من ساعة . قال ومع ذلك فقد قلت انك لما عدت الى رشدك بعد الحادثة وجدت نفسك بقرب المحطة فهل تعتقد انهم احضروك والقوك هناك وانت غائب عن الرشد . قال ربما كان ذلك اما انا فلم اع شيئاً . فقلت انا ولكن كيف ارتضوا ان ينقلوهُ وهو في الغيبوبة مع انهم كانوا مصممين على اهلاكهِ فهل يا ترى اثرت توسلات المرأة في ذلك الخبيث . فقال المهندس لا اظن ذلك لان وجه الرجل

يدل على التوحش فلا توثر فيهِ توسلات احد . فقال المفتش سنرى وتتحقق كل ذلك قريباً فها ان الخريطة في يدي وسنجد المكان بكل سهولة . فقال شرلوك اظنني وجدت المكان . فقال المفتش اذاً انت من رأيي يا شرلوك فالمكان الى الجهة الجنوبية . فقلت انا بل اظنهُ الى الشمال لانهُ الجهة الوحيدة التي ليس فيها هضاب ولم يذكر صديقنا ان العربة اجتازت هضاباً ووهاداً . فتبسم شرلوك وقال كلا كما مخطئ فالمكان ليس ببعيد عن ايفورد بل هو في نفس القرية وقريب من المحطة . فقال المفتش وكيف اذاً اجتازت العربة مسافة الاثني عشر ميلاً . قال هي ستة اميال ذهاباً وستة اميال اياباً وذلك انهُ عوض ان يصل بهِ رأساً الى المنزل اخذ في طريق البرّ حتى اوغل مسافة ثم عاد في الطريق نفسهِ ليوهمهُ ان المنزل بعيد عن القرية ويدل على ذلك ان العربة كما يقول صديقنا سارت اولاً في طريق سهلة ثم سارت في الوعر ثم عادت الى طريق سهلة . وانا اؤكد لكم ان الكولونيل واصحابهُ من مزيفي النقود العظام ولم تكن الآلة الا لضرب قِطَع السكة التي يزيفونها وقد اخذوا كل هذه التحوطات لستر امرهم . فقال المفتش حقاً اننا من مدة قد لاحظنا وجود الوف من المسكوكات الفضية المزيفة وتتبعنا مصدرها حتى ريدن غير اننا لم نستطع التقدم زيادة على ذلك لمهارة اولئك المزيفين الذين استعملوا على ما يظهر كل دهآئهم لاخفآء مكانهم أما الآن فانني اشكر التقادير التي ولا بد قد جعلتهم في قبضة يدي

وكنا قد بلغنا محطة ايفورد فنزلنا من القطار واستوقف نظرنا حريق هائل ارتفع من بيت ضمن حديقة ورآء المحطة فسألنا ناظر المحطة عن ذلك فقال انهُ منزل بدأ حريقهُ في منتصف ليل أمس ولا يزال يشتعل بالرغم عن الوسائل والمضخات المستعملة لاخماد النار وهو بيت طبيب يدعى الدكتور بخر . فقال المهندس وهل هذا الرجل الماني الجنس ورقيق الجسم . قال كلا بل هو انكليزي قصير القامة سمين ولكن عندهُ عليل على ما قيل غريب الجنس طويل القامة يكاد يظهر كعمود لشدة هزالهِ . اما نحن فاسرعنا الى جهة الحريق فوجدنا بيتاً ابيض اللون تندلع السنة اللهيب من كل جهاتهِ وكانت ثلاث مضخات في الحديقة المحيطة بهِ تصب المياه

الغزيرة لاطفآئهِ . ولما نظر هاذرلي ذلك قال نعم نعم هـذا هو البيت وهذه هي الحديقة والورود التي سقطت بينها وهذه النافذة في الطبقة الثانية هي التي رميت نفسي منها . فقال شرلوك اذاً قرَّ عيناً فقد انتقمت لك التقادير من هذا الظالم فانظر بين الجموع المزدحمة حول البيت لعلك ترى احداً من اصحابك بالامس على انني اعتقد انهم الآن على بعد مئة ميل من هنا

وكان ظن شرلوك في محلهِ لانهُ حتى الآن لم يُرَ ولم يُسمع شيء عن تلك المرأة الجميلة ولا الكولونيل الهزيل او الانكليزي السمين . وقد قال احد القرويين انهُ رأى في اول الفجر عربةً فيها عدة اشخاص وصناديق كثيرة كبيرة الحجم تجدّ السير الى جهة ريدن . ولما اخمدت النار تعجب رجال المضخات من المعدات التي وجدوها ضمن المنزل ومن ابهام انسان كانت لا تزال لاصقة بخشب النافذة ، وكانت النار قد أتلفت كل شيء فلم يبن من الآلات التي كانوا يستخدمونها سوى بضعة أنابيب حديدية شوهها اللهيب ووجدوا كمية وافرة من النيكل والزنك محفوظة في مستودع من الحديقة ولكنهم لم يروا شيئاً من النقود التي ولا بد قد أخذوها معهم في الصناديق التي أخبر عنها القروي

أما كيفية نقل المهندس من الحديقة الى قرب المحطة فقد كانت تكون بقيت سرًّا غامضاً لو لم يهتم شرلوك بدرسها فوجد من آثار الاقدام ان شخصين رفعا المهندس وعلم من الآثار ان الشخص الواحد هو المرأة والثاني الرجل الانكليزي الذي على ما يظهر لم يكن دمويًّا كرفيقهِ الكولونيل فنقلا المسكين الى محل ينجو بهِ من الخطر

ولما كان ميعاد القطار التالي رجعنا الى لندن ومعنا المهندس وهو قد فقد ابهامهُ ولم يحصل من الاجرة التي كان يرجوها على طائل . أما الكولونيل وأصحابهُ فلم يُعرَف مقرُّهم ولم يعلم أحد أي البلاد اشتملت عليهم حتى ان دهآء شرلوك نفسهِ لم يتمكن من اقتفآء أثرهم